بُغيةُ الطالبين
في
حفظِ حديثِ سيّدِ المرسلين

منهجيّةٌ علميّةٌ في الحفظِ والمراجعةِ
وبيانِ أثرِ ذلك في ترسيخِ العلمِ الشرعيّ

كتبهُ الدكتور
أبو حفصٍ محمّدُ بنُ كاملٍ المسنديُّ القاهريُّ الأثريُّ
رئيسُ قسمِ التحقيقِ بدارِ حفصٍ للبحثِ العلميّ
غفرَ اللهُ لهُ ولوالديهِ ولمشايخهِ والمسلمين

دار حفص
للبحثِ العلميّ وتحقيقِ التراث

بُغْيَةُ الطَّالِبِينَ

فِي

حِفْظِ حَدِيثِ سَيِّدِ المَرْسَلِينَ

صلى الله عليه وآله وسلم

مَنْهَجِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي الحِفْظِ وَالمُرَاجَعَةِ

وَبَيَانِ أَثَرِ ذَلِكَ فِي تَرْسِيخِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

وَكَتَبَهُ الدُّكْتُورُ

أَبُو حَفْصٍ مُحَمَّدُ بْنُ كَامِلٍ المُسْنَدِيُّ القَاهِرِيُّ الأَثَرِيُّ

رَئِيسُ قِسْمِ التَّحْقِيقِ بِدَارِ حَفْصٍ لِلبَحْثِ العِلْمِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ

دَارُ حَفْصٍ

لِلبَحْثِ العِلْمِيِّ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ

١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م

بُغْيَةُ الطَّالِبِينَ

فِي

حِفْظِ حَدِيثِ سَيِّدِ المَرْسَلِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ علم الحديث الشريف من أجلِّ العلوم الشرعية قدرًا، وأعظمها أثرًا؛ إذ به يُعرف كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتُستنبط الأحكام، ويُفهم الدين على وجهه الصحيح.

وقد تميَّزت هذه الأمة بسلسلة الإسناد، التي حفظ الله بها سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فكان الإسناد من خصائصها العظيمة، حتى قال بعض السلف: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".

ولأجل هذه المنزلة، اعتنى أهل العلم بحفظ الحديث وضبطه، وتمييز صحيحه من سقيمه، ووضعوا لذلك مناهج دقيقة، تقوم على الجمع بين الرواية والدراية، والحفظ والفهم، والعمل والتطبيق.

وهذا البحث المسمى: "**بُغْيَةُ الطَّالِبِينَ فِي حِفْظِ حَدِيثِ سَيِّدِ المَرْسَلِينَ**" يهدف إلى بيان منهجٍ عمليٍّ في حفظ الحديث النبوي ومراجعته، على وفق ما قرره أهل العلم، مع التنبيه على أهم الأصول التي ينبغي لطالب العلم مراعاتها في هذا الباب.

د. أبو حفص المُسنَدي الأثري
محمد بن كامل
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
مدينة القاهرة (حرسها الله)

أولًا: أهمية حفظ الحديث النبوي

لا شكَّ أنَّ حفظَ الحديثِ النبويِّ يأتي في المرتبةِ التالية بعد حفظِ كتابِ الله تعالى؛ إذ القرآنُ الكريمُ هو أصلُ الأصول، وأولُ ما ينبغي لطالبِ العلمِ أن يُعنَى بحفظِه وضبطِه، ثم ينتقلَ بعد ذلك إلى حفظِ سنةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ولهذا كان السلفُ الصالحُ رحمهم الله يبدؤون بحفظِ القرآنِ الكريم، ثم يُقبِلون على حفظِ الحديثِ النبوي، حتى قال غيرُ واحدٍ من أهلِ العلم: "من حفظَ الأصولَ سَهُلَ عليه بناءُ الفروع".

فينبغي لمن أراد أن يسلك سبيلَ أهلِ الحديث أن يكون قد أتمَّ حفظَ القرآنِ الكريم، أو حفظَ معظمَه على الأقل، حتى يرسخَ أصلُ الوحيِ في صدرِه، ثم يشرعَ في حفظِ السنةِ على منهجٍ علميٍّ متدرج.

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع شرح المهذب: "وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فنٍّ مختصرًا ويبدأ بالأهم، ومن أهمِّها: الفقه، والنحو، ثم الحديث، والأصول، ثم الباقي على ما تيسر".

ولا يخفى أنَّ حفظَ الحديثِ النبويِّ يُعَدُّ من أعظمِ وسائلِ تحصيلِ العلمِ الشرعي؛ لما يترتب عليه من الفوائدِ الجليلة، ومن أهمها:

١. حفظُ نصوصِ السنة التي هي المصدرُ الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى.
٢. القدرةُ على استحضار الأدلة عند البحث، والتعليم، والإفتاء، والمناظرة.
٣. تكوينُ الملكةِ العلمية في الفهم، والاستنباط، والترجيح، وربطِ المسائل بأدلتها.
٤. الاقتداءُ بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في أقوالِه، وأفعالِه، وتقريراتِه، والعملُ بسنته على بصيرة.

٥. تربيةُ النفسِ على محبةِ السنةِ وتعظيمِها، وربطُ القلبِ بكلامِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.
٦. تيسيرُ مراجعةِ العلمِ واستحضارِه؛ فإنَّ المحفوظَ يبقى مع صاحبِه حيثما كان، بخلافِ ما اقتصر على قراءتِه في الكتب.

وقد كان السلفُ الصالحُ رحمهم الله يُعظِّمون شأنَ الحفظ، ويعتنون به عنايةً فائقة، حتى صار الحفظُ أصلًا راسخًا في هذا العلم، فحفظوا الأحاديثَ بأسانيدها، وضبطوا طرقَها، وعرفوا عللَها ورجالَها، وبذلك حفظَ اللهُ تعالى سنةَ نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمة الأربعين النووية: "وأذكرها محذوفةَ الأسانيد؛ ليسهُل حفظُها، ويَعُمَّ الانتفاعُ بها إن شاء الله تعالى".

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في مقدمة بلوغ المرام: "فهذا مختصرٌ يشتمل على أصولِ الأدلَّة الحديثية للأحكام الشرعية، حررتهُ تحريرًا بالغًا، ليصيرَ مَنْ يحفظه بين أقرانِه نابغًا، ويستعينَ به الطالبُ المُبتدي، ولا يسغني عنه الرَّاغبُ المُنتهي".

وقال الرحبي رحمه الله في بغية الباحث عن جمل الموارث المعروفة بالرحبية:

والثُلُثانِ وهُما التَّمامُ   فاحفَظْ فكُلُّ حافظٍ إمَامُ

فحريٌّ بطالبِ الحديثِ أن يقتديَ بهم، فيجمعَ بين الحفظِ، والفهمِ، والمراجعةِ، والعملِ؛ فإنَّ العلمَ لا يثبتُ إلا بهذه الأركان.

ثانيًا: التدرج في حفظ الحديث النبوي

من أعظم أصول طلب العلم الشرعي التدرج، فإن العلم لا يُنال جملةً واحدة، وإنما يُؤخذ شيئًا فشيئًا، حتى يرسخ في القلب، وتثبت مسائله في الذهن، ولهذا كان السلف الصالح رحمهم الله يربون طلابهم على التدرج في التعلم والحفظ، فلا ينتقل الطالب إلى المطولات قبل إحكام المختصرات، ولا إلى دقائق العلم قبل إتقان أصوله.

قال الإمام الزهري رحمه الله: "من رام العلم جملةً ذهب عنه جملةً، وإنما يُطلب العلم على الأيام والليالي".

ولذلك ينبغي لطالب الحديث أن يسلك هذا المنهج، فيبدأ بحفظ المتون الحديثية المختصرة، ثم يرتقي إلى ما فوقها، حتى تتكون لديه الملكة العلمية، ويقوى حفظه، ويثبت فهمه.

ومن أنسب ما يُبتدأ به:

الأربعون النووية، لاشتمالها على جوامع كلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأصول عظيمة في العقيدة، والعبادات، والآداب، والمعاملات، حتى قال الإمام النووي رحمه الله في مقدمتها: "مدار الإسلام عليها"، يقصد كثيرًا من أحاديثها.

ثم ينتقل إلى عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي، لأنه جمع أحاديث الأحكام المتفق عليها، مما يعين الطالب على الربط بين الحديث والفقه.

ثم يحفظ بلوغ المرام للحافظ ابن حجر رحمه الله، لما امتاز به من استيعاب معظم أحاديث الأحكام، مع العناية ببيان مصادرها، والإشارة إلى درجتها.

فإذا أحكم هذه المتون، وانتفع بها حفظًا وفهمًا ومراجعةً، انتقل إلى التوسع في دواوين السنة الكبار، كالصحيحين، والسنن الأربع، والموطأ، ومسند

الإمام أحمد، وغيرها من كتب السنة، مع العناية بمعرفة الأسانيد، والطرق، واختلاف الروايات، وكلام أئمة النقد عليها.

وهذا التدرج هو الذي يورث رسوخ العلم، ويقوي الحفظ، ويمنع الطالب من التشتت والاضطراب، ويجعله يسير في طلب العلم على بصيرة، كما سار أئمة هذا الشأن رحمهم الله.

فعلى طالب الحديث أن يصبر على هذا المنهج، وألا يستعجل الثمرة؛ فإن من أحكم الأصول سهل عليه ما بعدها، ومن ضيع الأصول بقي مضطربًا في الفروع.

ثالثًا: منهج حفظ الحديث النبوي

لا يقوم حفظُ الحديث النبوي على مجرد تكرار الألفاظ، بل له أصولٌ وقواعدُ إذا التزمها طالبُ العلم كان ذلك أدعى لرسوخ الحفظ، وثبات العلم، وحسن الفهم. ومن أهم هذه الأصول ما يأتي:

١- إخلاص النية لله تعالى:

فالعلم عبادةٌ من أجلِّ العبادات، ولا يُقبل إلا بالإخلاص لله تعالى، فلا يقصد الطالب بحفظ الحديث رياءً، ولا سمعةً، ولا طلبًا للجاه أو الشهرة، وإنما يقصد حفظ سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والعمل بها، وتعليمها للناس.

٢- تحديد وِردٍ يومي للحفظ:

فينبغي أن يجعل الطالب لنفسه مقدارًا ثابتًا من الحفظ يناسب قدرته، يداوم عليه كل يوم، ولو كان قليلًا؛ فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّت، والاستمرار خيرٌ من الانقطاع.

٣- اختيار الوقت المناسب للحفظ:

وللحفظ أوقاتٌ يتفاوت الناس فيها، وأفضلها غالبًا وقت السَّحر، وبعد صلاة الفجر؛ لصفاء الذهن، وهدوء النفس، وقلة الشواغل، مع اختيار المكان الهادئ البعيد عن الملهيات.

٤- الفهم قبل الحفظ:

فينبغي ألا يقتصر الطالب على حفظ ألفاظ الحديث، بل يحرص على فهم معانيه، والوقوف على مقاصده، وذلك بقراءة الشروح المختصرة، وسؤال أهل العلم عما أشكل عليه؛ فإن الفهم من أعظم أسباب ثبات المحفوظ.

٥- العمل بالحديث:

فإن العمل بما يحفظه الطالب من أعظم أسباب رسوخ العلم؛ لأن العلم

يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل، وكلما ازداد العبد عملًا بما علم، زاده الله فهمًا وتوفيقًا.

٦- ضبط ألفاظ الحديث بالسماع:

ومن تمام الإتقان أن يتلقى الطالب الحديث عن شيخٍ متقن، أو يسمعه من قارئٍ مجيدٍ يعتني بضبط الألفاظ وأداء الكلمات؛ فإن السماع يرفع كثيرًا من أوهام القراءة الفردية، ويعين على سلامة الأداء.

٧- معرفة غريب الحديث:

فينبغي لطالب الحديث أن يعتني بالألفاظ الغريبة، فيرجع إلى كتب غريب الحديث، حتى يفهم معاني الكلمات، ويستوعب دلالات الأحاديث، فإن فهم اللفظ مفتاح فهم المعنى.

٨- معرفة درجة الحديث إجمالًا:

ويُستحسن أن يعرف الطالب درجة ما يحفظه من الأحاديث معرفةً إجمالية، من حيث الصحة والحسن والضعف، دون الخوض فيما لا يحسنه من دقائق علم العلل؛ ليعتاد التمييز بين المقبول والمردود، ويتكون لديه مع الزمن حسٌّ حديثي صحيح.

٩- كثرة التكرار والمراجعة:

فالحفظ لا يثبت إلا بالمراجعة المستمرة، ولذلك كان السلف يكررون الحديث مراتٍ كثيرة حتى يرسخ في صدورهم. فليجعل الطالب للمراجعة نصيبًا لا يقل عن نصيب الحفظ، بل قد تكون المراجعة في بعض المراحل أولى من الزيادة في المحفوظ.

١٠- ربط الأحاديث بأبوابها العلمية:

ومن أنفع وسائل ترسيخ الحفظ أن يربط الطالب الحديث ببابه الفقهي أو العقدي أو الأخلاقي، وأن يجمع الأحاديث المتشابهة في المعنى أو المتحدة في

الباب، فإن ذلك أدعى لحسن الاستحضار عند الحاجة.

فهذه الأصول إذا اعتنى بها طالب الحديث، وصبر على تطبيقها، وداوم عليها، أثمرت له حفظًا متقنًا، وفهمًا راسخًا، وملكةً علميةً تعينه على مواصلة السير في هذا العلم الشريف.

رابعًا: منهج مراجعة الحديث النبوي

المراجعة هي عماد الحفظ، وسرُّ بقائه، ولا يثبت المحفوظ في الصدور إلا بدوام المراجعة والتعاهد، فإن الحفظ يضعف بتركه، ويقوى بتكراره، ولذلك كان السلف الصالح رحمهم الله يجعلون للمراجعة نصيبًا أعظم من نصيب الحفظ، إدراكًا منهم أن المحافظة على المحفوظ مقدمة على الإكثار من الجديد.

وقد قيل: العلم صيد، والكتابة قيده، والمراجعة حياته.

ومن أهم الوسائل المعينة على تثبيت الحديث النبوي ومراجعته ما يأتي:

١- التكرار المستمر:

وهو أعظم أسباب رسوخ الحفظ، فيجعل الطالب لنفسه برنامجًا يوميًّا وأسبوعيًّا وشهريًّا لمراجعة ما حفظه، بحيث لا يمر عليه زمن طويل إلا وقد أعاد جميع محفوظه، وليكن همه إتقان المحفوظ قبل الزيادة فيه، فإن كثرة المحفوظ مع ضعف المراجعة سببٌ لنسيانه.

٢- المُدارسة مع الأقران:

فإن مذاكرة العلم مع الزملاء، وتسميع الأحاديث بعضهم لبعض، وطرح الأسئلة والمناقشة فيها، من أنفع وسائل تثبيت الحفظ، وتنشيط الذهن، وكشف مواضع الخطأ والوهم، وقد كان هذا دأب المحدثين، يتدارسون العلم ويتذاكرونه فيما بينهم.

٣- العمل بالمحفوظ:

فإن العمل بالعلم من أعظم أسباب بقائه، لأن العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

فكلما عمل الطالب بما يحفظه من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ازداد رسوخًا في قلبه، وقوي استحضاره عند الحاجة.

٤- ربط الأحاديث بأبوابها العلمية:

ومن أنفع وسائل المراجعة أن يجمع الطالب الأحاديث المتعلقة بالباب الواحد، كأحاديث الطهارة، أو الصلاة، أو البيوع، أو الآداب، أو العقيدة، فيراجعها مجتمعة؛ فإن ذلك يقوي الربط بين المسائل، ويعين على سرعة استحضار الأدلة عند البحث والتعليم.

٥- الجمع بين المراجعة اللفظية والمعنوية:

فلا يقتصر الطالب على مراجعة ألفاظ الأحاديث، بل يراجع أيضًا معانيها، وأحكامها، وغريب ألفاظها، وما يتعلق بها من الفوائد الحديثية والفقهية؛ فإن ذلك أدعى إلى رسوخ العلم، وأبعد عن النسيان.

٦- مراجعة الأسانيد لطالب الحديث المتقدم:

ومن ترقى في هذا الفن، فلا يقتصر على مراجعة المتون، بل يعتني أيضًا بمراجعة الأسانيد، وربط الأحاديث بطرقها ورجالها، فإن هذا هو سبيل المحدثين، وبه تقوى الملكة الحديثية، ويتهيأ الطالب للنظر في علل الأحاديث واختلاف الروايات.

وعلى طالب الحديث أن يعلم أن الحفظ بلا مراجعة كالبناء بلا أساس؛ فما أسرع أن ينهدم، وأن دوام المراجعة ـ ولو كان الورد يسيرًا ـ خير من كثرة الحفظ مع الانقطاع.

خامسًا: الجمع بين الرواية والدراية

من أعظم ما ينبغي أن يعتني به طالب الحديث أن يجمع بين الرواية والدراية؛ فإن الاقتصار على أحدهما دون الآخر يورث نقصًا في التحصيل، وقد كان أئمة أهل الحديث يجمعون بين حفظ النصوص وفهمها، وبين إتقان الأسانيد واستنباط الأحكام منها.

فأما الرواية، فهي العناية بحفظ الحديث وضبط ألفاظه، ومعرفة أسانيده، وتمييز طرقه، وضبط أسماء رواته، وصيانة السنة من التصحيف والتحريف والزيادة والنقصان. وهذا هو الأساس الذي يُبنى عليه هذا العلم، ولذلك كان أئمة الحديث يرحلون في طلب الإسناد، ويعتنون بضبط الرواية أشد العناية.

وأما الدراية، فهي فهم معاني الأحاديث، والوقوف على فقهها، واستنباط ما فيها من الأحكام والفوائد، ومعرفة ناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، والجمع بين الأحاديث التي يظهر بينها التعارض، والرجوع في ذلك إلى كلام أئمة العلم وشروح السنة.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ منَّا حديثًا فحفظَهُ حتَّى يبلِّغَهُ غيرَهُ، فرُبَّ حامِلِ فقهٍ ليسَ بفَقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هوَ أفقَهُ منهُ»؛ فليس كل حافظٍ للحديث يكون فقيهًا في معانيه، كما أن الفقه الصحيح لا يستغني عن صحة الرواية وثبوتها.

ومن هنا كان منهج أهل الحديث قائمًا على الجمع بين الإسناد والمتن، وبين الحفظ والفهم، وبين الرواية والدراية؛ فلا يشتغلون بفقه الحديث حتى يثبت عندهم إسناده، ولا يكتفون بصحة الإسناد حتى ينظروا في معانيه وفقهه وما دل عليه من الأحكام.

فينبغي لطالب الحديث أن يجعل همه حفظ السنة مع فهمها، وأن يقرن

دراسة المتون بدراسة شروحها، وأن يعتني بكلام أئمة الحديث والفقه في بيان معانيها، حتى يجمع بين صحة النقل وحسن الفهم، فإن هذا هو سبيل المحدثين، وبه تكتمل آلة طالب الحديث، ويرسخ قدمه في هذا العلم الشريف.

سادسًا: منهج حفظ الأسانيد

من أنفعِ الطرائقِ في حفظِ الأسانيدِ وضبطِها أن يجمعَ طالبُ الحديثِ الأحاديثَ التي تَرِدُ من طريقٍ واحدٍ، ثم يحفظَها بأسانيدِها؛ فإنَّه بعد مُدَّةٍ يجدُ أنَّه قد حفظَ عددًا كبيرًا من الأحاديثِ، مع معرفةِ طرقِها وأسانيدِها، فيرسخُ ذلك في ذهنِه، ويقوى استحضارُه لها عند الحاجة.

وهذه طريقةٌ معروفةٌ عند أئمةِ الحديثِ، وهي من أنفعِ وسائلِ ترسيخِ الأسانيدِ، وتقويةِ المَلَكَةِ الحديثية؛ فإنَّ كثرةَ ملازمةِ الطريقِ الواحدِ تُعينُ على ضبطِ الرواةِ، ومعرفةِ طبقاتِهم، والتمييزِ بين ما يقعُ في الرواياتِ من اختلافٍ أو وَهْمٍ.

وقد كان أئمةُ هذا الشأنِ، كالإمامِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاري، والإمامِ أحمدَ بنِ حنبل، والإمامِ عليِّ بنِ المديني، والإمامِ يحيى بنِ معين، وغيرِهم، يحفظون الأحاديثَ بأسانيدِها، ويعتنون بطرقِها، وأوجهِها، ومتابعاتِها، وشواهدِها، واختلافِ ألفاظِها؛ إذ بذلك تتمُّ معرفةُ الحديثِ، ويظهرُ صحيحُه من سقيمِه.

ومن أمثلةِ ذلك: طريقُ الإمامِ مالكِ بنِ أنس، عن نافعٍ مولى ابنِ عمر، عن عبدِ اللهِ بنِ عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الإسنادُ المشهورُ الذي وصفه جماعةٌ من أهلِ العلمِ بـ "سلسلةِ الذهب"؛ لما اجتمع فيه من جلالةِ رجاله وإتقانِهم.

فإذا جمعَ الطالبُ الأحاديثَ المرويَّةَ بهذا الإسنادِ وحفظَها، ثم انتقلَ إلى إسنادٍ آخرَ، كطريقِ الزهري، أو الأعمش، أو قتادة، أو غيرِهم من الأئمة، رسخت في نفسِه الأسانيدُ، وسهُل عليه ربطُ المتونِ بطرقِها، ومعرفةُ مدارِ الأحاديثِ ورجالِها.

ومن الكتبِ النافعةِ في هذا الباب كتابُ: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للحافظِ عبدِ الرحيمِ العراقي رحمه الله، فإنَّه من الكتبِ المفيدةِ في جمعِ الأسانيدِ المشهورةِ وترتيبِها، ويُعينُ طالبَ الحديثِ على معرفةِ مدارِ الأسانيدِ، وحسنِ ترتيبِها في ذهنِه.

ومن أعظمِ فوائدِ جمعِ الطرقِ أنَّه يُظهرُ أوهامَ الرواةِ، ويكشفُ عللَ الأحاديثِ الخفيةَ، ويُميِّزُ المحفوظَ من الشاذِّ، والثابتَ من المعلولِ، ولهذا قال الإمامُ عليُّ بنُ المديني رحمه الله: "البابُ إذا لم تُجمعْ طرقُه لم يتبيَّنْ خطؤُه".

فجمعُ الطرقِ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ صناعةِ الحديثِ، وبه تظهرُ دقائقُ علمِ العللِ، وتتبيَّنُ مراتبُ الرواياتِ، وتكتملُ مَلَكَةُ طالبِ الحديثِ في النقدِ والترجيحِ، وهو من أجلِّ ما يُعتنى به بعد إحكامِ الأصولِ، ورسوخِ القدمِ في هذا العلمِ الشريف.

سابعًا: ثمرات هذا المنهج

إذا سلك طالب الحديث هذا المنهج القائم على التدرج في الطلب، وإحكام الحفظ، ودوام المراجعة، والجمع بين الرواية والدراية، أثمر له ذلك ثمراتٍ جليلة، وفوائدَ عظيمة، تظهر آثارها في علمه، وفهمه، وعمله، ومن أهمها:

١ -رسوخ العلم في القلب:

فإن العلم الذي يُبنى على الحفظ المتقن، والمراجعة المستمرة، والفهم الصحيح، يكون أثبت في النفس، وأسرع استحضارًا عند الحاجة، بخلاف العلم الذي يُكتسب بالقراءة العابرة أو الاعتماد على وسائل البحث الحديثة دون حفظ.

٢ -القدرة على الاستدلال الصحيح:

فمن حفظ نصوص السنة، وفهم معانيها، وعرف مواضعها، سهل عليه الاستدلال بها في مواضعها، وربط الفروع بأصولها، والاستنباط على وفق منهج أهل العلم، بعيدًا عن الخطأ في الاستدلال أو الاستشهاد.

٣ -سلامة الفهم من الانحراف:

فإن ملازمة الأحاديث الصحيحة، ودراسة شروحها، وفهمها على وفق منهج السلف الصالح، تعصم طالب العلم -بإذن الله تعالى- من كثير من الشبهات، وتحفظه من الانحراف في الاعتقاد أو الفقه أو المنهج.

٤ -تكوين الملكة الحديثية:

وهي من أجلِّ ثمرات هذا المنهج؛ إذ يكتسب الطالب مع كثرة الحفظ، ودوام المراجعة، وطول الممارسة، قدرةً على استحضار الأحاديث، ومعرفة طرقها، والتمييز بين مراتبها، وفهم كلام أئمة الحديث فيها، فتتكون لديه ملكةٌ حديثيةٌ راسخة، ينمو بها علمه شيئًا فشيئًا.

٥ -قوة الارتباط بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فكلما أكثر الطالب من حفظ السنة ومراجعتها والعمل بها، ازداد تعلقًا بها، ومحبةً لها، وحرصًا على الاقتداء بصاحبها صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون علمه سببًا في صلاح عمله، واستقامة سلوكه.

٦ -التأهل لخدمة السنة النبوية:

فإن من أحكم هذا المنهج، وصبر عليه، صار مؤهلًا -بقدر ما آتاه الله من العلم- لخدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعليمًا، وتدريسًا، وتحقيقًا، وتخريجًا، وذبًّا عنه، ونشرًا له بين الناس على بصيرة.

فهذه الثمرات لا تُنال بالأماني، ولا بمجرد كثرة القراءة، وإنما تُنال بالصبر، والمداومة، والإخلاص، والتلقي عن أهل العلم، وسلوك سبيل أئمة الحديث في الحفظ، والفهم، والعمل.

ثامنًا: من الأسباب المعينة على الحفظ في أي فن

الحفظ نعمةٌ من الله تعالى، وله أسبابٌ شرعيةٌ وحسيةٌ إذا اعتنى بها طالب العلم كان ذلك أدعى إلى رسوخ المحفوظ، وثباته، وسرعة استحضاره. ومن أهم هذه الأسباب:

١. إخلاص النية لله تعالى:

فالعلم عبادة، ولا يُبارك فيه إلا إذا أُريد به وجه الله تعالى، لا الرياسة ولا الشهرة ولا المباهاة.

٢. اجتناب المعاصي والمحرمات:

فإن الذنوب من أعظم أسباب ضعف الحفظ وذهاب بركة العلم، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي ... فأرشدني إلى تركِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ ... ونورُ الله لا يُؤتاه عاصي

٣. العمل بما يحفظه الطالب:

فإن العمل بالعلم من أعظم أسباب ثباته؛ لأن العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل.

٤. اختيار الأوقات المناسبة للحفظ:

ولكل إنسان وقتٌ يناسبه، غير أن من أفضل أوقات الحفظ وقت السَّحر وما بعد صلاة الفجر؛ لصفاء الذهن، وسكون النفس، وقلة الشواغل.

٥. اغتنام مرحلة الصبا والشباب:

فإن الحفظ في الصغر أثبت وأرسخ، ولذلك كان السلف يبدؤون أولادهم بحفظ القرآن، ثم السنة، ثم سائر العلوم.

٦. اختيار المكان المناسب للحفظ:

وينبغي أن تتوافر فيه عدة صفات:

- أن يكون مريحًا للنفس.
- أن يسهل المكث فيه مدةً من غير ملل.
- أن يكون هادئًا بعيدًا عن الضوضاء.
- أن يخلو من الملهيات وما يشغل البصر أو الفكر.

٧. الجهر المعتدل بقراءة المحفوظ:

فإن ذلك يعين على تثبيت الألفاظ، ويجمع بين عمل اللسان، والسمع، والبصر، فيقوى الحفظ بإذن الله.

٨. كثرة التكرار:

فلا يثبت الحفظ إلا بالإعادة، وكلما أكثر الطالب من تكرار محفوظه ازداد رسوخًا في قلبه، ولذلك قيل :الاستحضار ثمرة التكرار.

٩. تعاهد المحفوظ بالمراجعة المستمرة:

فالمراجعة هي عماد الحفظ، ولا ينتفع الإنسان بما حفظه إلا إذا داوم على مراجعته في أوقات متفرقة، حتى يستقر في صدره.

١٠. المذاكرة مع أهل العلم والأقران:

والمقصود بها المطارحات العلمية، والمساجلات الحديثية، ومناقشة المسائل، وتسميع المحفوظ؛ فإن ذلك من أقوى أسباب تثبيت العلم، وكشف الخطأ، وتنشيط الذهن، وقد كان هذا من هدي السلف رحمهم الله تعالى.

فهذه الأسباب إذا اجتمع معها صدق العزيمة، والصبر، والمداومة، وملازمة أهل العلم، فتح الله لطالب العلم أبواب الحفظ والفهم، ورزقه علمًا نافعًا راسخًا، والله الموفق.

خـاتـمـة

وفي ختام هذا البحث، يتبين أن حفظ الحديث النبوي ليس مجرد حفظ للألفاظ، ولا ترديدٍ للمتون، بل هو منهجٌ علميٌّ متكامل، يقوم على الإخلاص لله تعالى، والتدرج في الطلب، وإتقان الحفظ، ودوام المراجعة، والجمع بين الرواية والدراية، مع فهم السنة والعمل بها والدعوة إليها.

وقد سلك هذا المنهج أئمةُ الحديث ونقادُه عبر القرون، فحفظ الله تعالى بهم سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ونقلوها إلى الأمة بألفاظها وأسانيدها، وميزوا صحيحها من سقيمها، حتى بقيت السنة محفوظةً بحفظ الله تعالى لها، كما حفظ كتابه العزيز.

وطريق هذا العلم ليس طريقًا يسيرًا، بل يحتاج إلى صبرٍ، ومصابرةٍ، وطولِ نفس، وكثرةِ مراجعة، وملازمةٍ لأهل العلم، وحسنِ التأدب معهم، مع دوام الدعاء والاستعانة بالله تعالى؛ فإن العلم فضلٌ من الله يؤتيه من يشاء.

فينبغي لطالب الحديث أن يحرص على بناء نفسه بناءً علميًّا متينًا، فيبدأ بصغار العلم قبل كباره، ويحكم الأصول قبل الفروع، ويعتني بالحفظ كما يعتني بالفهم، ويكثر من مطالعة كتب السنة، ويلازم المراجعة والمذاكرة، ويعمل بما تعلم؛ فإن العمل من أعظم أسباب ثبات العلم وبركته.

ونسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يفقهنا في دينه، ويجعلنا من أهل القرآن والسنة، ومن خدام حديث نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأن ينفع بهذا العمل كاتبه وقارئه وناشره، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وكان الفراغُ من تأليفِه، فجرَ يومِ الجمعة، الرابعِ من شهرِ المُحرَّم سنةَ ثمانٍ وأربعين وأربعمائةٍ وألفٍ للهجرة، الموافقِ التاسعَ عشرَ من شهرِ يونيو سنةَ ستٍّ

وعشرين وألفين للميلاد، بمدينةِ القاهرةَ -حرسها الله-.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبَه خادمُ القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النبويَّةِ
الدكتور أبو حفصٍ محمدُ بنُ كاملٍ المُسنَديُّ القاهريُّ الأثريُّ
رئيس قسم التحقيق بدار حفص للبحث العلمي وتحقيق التراث
غفر اللهُ له ولوالديهِ، ولمشايخِه، وللمسلمين.
القاهرة - مصر (حرسها الله)

الفـهـارس

١٤٤٧هـ/ ٢٠٢٦م